بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــــــــدمـــة

الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ،،،

وبعد:

فلقد تناولت في هذا البحث تعدد زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن أجمعين -، ففي سيرة المصطفى ﷺ وزوجاته الكرام الكثير من المواقف المشرفة والأحداث الهامة التي تنفع سائر المسلمين ويقدمن لهم مثلاً صادقاً على سلوك المرأة المسلمة المجاهدة في سبيل الله والحافظة لبيتها وزوجها، فمن أجل ذلك وجب علينا التعرف على الحكمة من تعدد زوجاته ﷺ ، وعلى حياة زوجاته أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن أجمعين - وفضلهن، ومكانتهن في الإسلام بعد دخولهن بيت النبي ﷺ ، تلك الثريات المضيئة التي سطعن في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم واهتدين بهديه ﷺ ، ولننهل من هذه الينابيع الدافقة بنور العلم والمعرفة، العامرة بنور الإيمان.

ولما لسيرة زوجات رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن- من قيمة كبيرة في حياة الأمة الإسلامية، فهن معلمات وقدوة لنساء البشرية.

❖ خطة البحث:

وقد تناولتُ سيرتَهم المشرفة من خلال عدة مباحث أساسية وهي كالآتي:

- **المبحث الأول:** التعريف بزوجات النبي ﷺ ، وفضلهن ومكانتهن في الإسلام.
- **المبحث الثاني:** الحِكَم العظيمة من تعدد زوجاته ﷺ ، ودورهن في نقل سنته ﷺ والتعريف بأحواله الاجتماعية الخاصة.
- **المبحث الثالث:** شُبُهات الحاقدين على الإسلام حول تعدد زوجاته ﷺ ، والردُّ عليهم.

* * *

المبحث الأول

التعريف بزوجات النبي ﷺ ،
وفضلهن ومكانتهن في الإسلام

التعريف بزوجات النبي ﷺ

١- خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها-:

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، كانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم. فكانت ذات شرف ومال كثير، تزوجت خديجة وهي بكر (عتيق بن عائذ) فولدت له حارثة ثم هلك عنها، فتزوجت أبو هالة مالك بن النباش بن زرارة، ثم هلك، فتزوجها رسول الله ﷺ وهي بنت أربعين سنة، وكان رسول الله ﷺ ابن خمس وعشرين سنة، وقال أبو عمر وأجمع أهل العلم: " أن خديجة – رضي الله عنها- ولدت لرسول الله ﷺ أربع بنات هن: زينب وفاطمة ورقية وأم كلثوم - رضي الله عنهن-، وأجمعوا أنها ولدت له القاسم، وبه كان يكنى ﷺ [١].

لقد كانت خديجة –رضي الله عنها- امرأة تاجرة، ذات شرفٍ ومال، تستأجر الرجال في مالها، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه، عرضت عليه أن يتجر بمالها فوافق ﷺ وذهب مع غلامها (ميسرة) في تجارة إلى بلاد الشام، وعاد من رحلته برزق وفير وأرباح طائلة [٢].

كما أن النبي ﷺ لم يتزوج عليها غيرها، وأن أولاده كلَّهم منها إلا إبراهيم - رضي الله عنه - فإنه من سُرِّيّته مارية ، وأن الله سبحانه وتّعالى بعث إليها السلام مع جبريل فبلغها النبي ﷺ ذلك،وبشرها الرسول بالسلام من رب العالمين، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: (يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السَّلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب)، كما أنها لم تسوؤه قط ولم تغاضبه، ولم ينلها منه إيلاء ولا عَتبٌ قط ولا هجر، وكفى به منقبة وفضيلة.وهي أوّل امرأة آمنت بالله ورسوله من هذه الأمة من النساء والرجال [٤].

وفي شأنها قال ﷺ: (أفضل نساء الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم)وفضل خديجة لصبرها الجميل وجليل ما صنعته من أعمال صالحة وآثار نافعة قيمة، وفضل فاطمة لأنها بضعة من محمد ﷺ ، وأم النسل الشريف كله [٥].

٢- سَوْدةُ بنت زمْعَة - رضي الله عنها-:

وهي سودة بنت زمعة بن قيس، بن عبدشمس، بن عبد وُدّ، بن نصر، بن مالك بن حِسْل، بن عامر، بن لؤي، وأمها الشموس بنت قيس بن زيد بن عمرو بن لبيد بن خراش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار،تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد وفاة خديجة قبل العقد على عائشة، فكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ بعد خديجة، ومن

---

[١] محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، السمط الثمين / تحقيق محمد علي قطب .- القاهرة : دار الحديث للنشر،[١٩٨٠م]، ص ٢٣- ٢٤.
[٢] المرجع نفسه .- ص ٢٥
[٣] المرجع نفسه .- ص ٢٦
[٤] الطبري . السمط الثمين، المصدر السابق .- ص ٤٠
[٥] سعيد أيوب. زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .- ط١.- بيروت : دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.- ص. ص ٣٩- ٤٢.

خواصها - رضي الله عنها - أن سودة بنت زمعة قالت للنبي ﷺ: أود أن أُحشر في زمرة أزواجك، وإني قد وهبت يومي لعائشة، وإني لا أريد ما تريد النساء، وأنها آثرت بيومها حِبَّ النبي ﷺ تقرباً إلى رسول الله ﷺ وحُباً له، وإيثاراً لمقامها معه، فكان يقسم لنسائه ولا يقسم لها. وهي راضية بذلك مؤثرة لرضى رسول الله ﷺ رضي الله عنها —[1] .

توفيت سودة بنت زمعة في آخر زمان عمر بن الخطاب، وقيل: توفيت سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية .

٣- عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها-:

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة بن عثمان التيمّي السَّعْديّ القرشي، وكانت تُكنّى بأمّ عبد الله، وأمُّها أمّ رُومان بنت عامر الكنانية، تَيمِّية، قرشّية، تزوجها رسولُ الله ﷺ قبل الهجرة بثلاث سنين، وهي بنتُ ست سنين وقيل سبع سنين وبنى بها وهي بنت تسع سنين في المدينة المنورة أول مقدمه في السنة الأولى؛ فكانت أحبَّ أزواج رسول الله ﷺ إليه، كما ثبت عنه ذلك في البخاري وغيره وقد سُئل: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: (عائشة) قيل: فمن الرجال؟ قال: (أبوها)، كما أنه لم يتزوج امرأة بكراً غيرها، وكان الوحي ينزل على رسول ﷺ وهو في لحافها دون غيرها[3] .

كما أن الله - عز وجل- لما أنزل عليه آية التخيير بدأ بها فخيرها فقال: (ولا عليك أن لا تَعْجلي حتى تسْتأمري أبَوَيك)، فقالت: أفي هذا استأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدّار الآخرة. فاستنّ بها بقية أزواجه ﷺ وقلن كما قالت.وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، فهي التي برأها الله سبحانه وتعالى مما رماها به أهل الإفك، وأنزل في عذرها وبراءتها وحياً يُتلى في محاريب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة.

وتُوفي الرسول ﷺ في بيتها، وفي يومها، وبين سحْرها، ودُفن في بيتها . ثم أن المَلَك أرى صُوْرتها للنبي ﷺ قبل أن يتزوجها في سرقة حرير، فقال النبي ﷺ: (إن يكنْ هذا من عند الله يُمضه)، كما أن الناس كانوا يتحرّون بهداياهم يومها من رسول الله ﷺ ، تقرباً إلى الرسول ﷺ، فيُتحفونه بما يُحبُّ في منزل أحبّ نسائه إليه - رضي الله عنهم أجمعين-.

قال أبو عمر: وتوفيت عائشة سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، ودفنت من ليلتها بعد الوتر بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة[5] .

---

[1] أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن هبة الله بن عساكر . الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين / تحقيق محمد مطيع الحافظ، ج١ .- ط١.- دمشق : دار الفكر، ١٤٠٦هـ .- ص ٤٠

[2] المصدر نفسه، ج١.- ص ٤١

[3] ابن عساكر . الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين، ج١، المصدر السابق .- ص ٤٢.

[4] عائشة عبدالرحمن . نساء النبي (عليه الصلاة والسلام) .- ط١.- بيروت : دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م .- ص ١١٤.

[5] المرجع نفسه .- ص ١١٥.

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها-:

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزى بن رياح بن عبدالله بن قريط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي، وأمها زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب. ولدت وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين [١].

وقد نشأت حفصة رضي الله عنها مثل أبيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بما يتميز به من جرأة وصلابة وقوة في الشخصية وكلمة نافذة واثقة، وقد قالت عائشة رضي الله عنها في وصف حفصة أنها: " بنت أبيها ". وكان أهم ما تعلمته حفصة القراءة والكتابة وإجادتها، ويعد هذا شيئاً غير عادي في ذلك الوقت [٢].

تزوجت خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي، وهاجرت معه إلى المدينة ولكنه مات، تزوج رسول الله ﷺ من حفصة في شعبان على رأس ثلاثين شهرا " قبل أحد، وقال أبو عمر: تزوجها رسول الله ﷺ في سنة ثلاث من الهجرة، وقيل: تزوجها سنة اثنتين من التاريخ [٣].

وطلَّقها رسول الله ﷺ ، فبلغ عمر ذلك فحثا على رأسه التراب، وقال: ما يعبأ الله بعمر ولا ابنته. فنزل جبريل عليه السلام من الغد فقال لرسول الله ﷺ: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمةً بعمر . وأوصى إليها أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - وأوصت هي إلى أخيها عبد الله بما أوصى به عمر، وبصدقة تصدَّقت بها. وأمها زينب بنت مظعون الجمحي القرشي.

ومن فضلها ومكانتها ما رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه و أهل السيرة وغيرهم أن النبي ﷺ طلقها، فأتاه جبريل فقال: (إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة، وإنها زوجتك في الجنة) [٥].

وعندما نذكر حفصة فلابد أن نذكر فضلها العظيم على الإسلام وعلى المسلمين حيث أول من احتفظت في بيتها بكتاب الله تعالى وهو القرآن الكريم وذلك على ألواح وجلود وعظام وشقف، وبهذا حفظت للمسلمين القرآن .

٥- زينب بنت خزيمة - رضي الله عنها-:

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة العامرية القيسية"، فهي هلالية قيسية، وأمها هند بنت عوف بن الحارث بن حماطة، وكانت من أكرم العرب أصلاً ونسباً. تزوجها رسول الله ﷺ في رمضان سنة ثلاث من الهجرة. وكانت تُسمى " أم المساكين " في الجاهلية، حيث اشتهرت بالسخاء والكرم الزائد والعطف على الفقراء والمساكين وأن فضيلة الحب والرحمة والرفق بالفقراء والمساكين

---

[١] عمرو يوسف . زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم .- الإسكندرية، المركز العربي للنشر والتوزيع، [١٩٨٠م؟].- ص ٣٩.
[٢] أحمد حسين شرف الدين . أمهات المؤمنين .- ط١ .- الرياض : أحمد شرف الدين، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.- ص.ص ٥٠- ٥١.
[٣] سعيد أيوب . زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، المرجع السابق.- ص ٥٥.
[٤] أحمد حسين شرف الدين . أمهات المؤمنين، المرجع السابق.- ص ٣٦
[٥] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . الإصابة في تمييز الصحابة/ تحقيق علي محمد البجاوي، ج١.- ط١.- بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ .- ص٥٨٢.
[٦] عمرو يوسف . زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، المرجع السابق .- ص.ص ٤٩ - ٥٠.

هي من الفضائل المتأصلة في نفسها رضي الله عنها . وكان دخوله ﷺ بها بعد دخوله على حفصة بنت عمر ثم لم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة، وتوفيت في حياته - ﷺ - في آخر ربيع الآخر ، ودفنت بالبقيع وكان[2] سنها يوم توفيت نحو ثلاثين سنة .[3]

٦- أمُّ سلمة بنت أبي أمية - رضي الله عنها-:

هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة كعب بن لُؤي بن غالب بن فهر القرشي، أما أمها فهي عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن جزيمة بن علقمة الكنانية، من بني فراس.

كانت قبل رسول الله ﷺ عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي ابن عمها، وكان من كبار الصحابة فرُزقت منه: عُمر،ودُرَّة، وسلمة، وزينب، ربائب رسول الله ﷺ ، وكانت هي وزوجها أول من هاجر إلى الحبشة، وقيل: إنها أوّل من هاجر إلى المدينة من الظعائن، فتزوّجها رسول الله ﷺ في ليالٍ بقين من شوال سنة أربع، وماتت سنة اثنتين وستين في عهد إمارة يزيد بن معاوية وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً، وقيل بل ميمونة .[4]

٧- زينب بنت جَحْش - رضي الله عنها-:

زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان أسد ابن خزيمة، وكان أسمها برَّة فسماها الرسول ﷺ زينب بعد زواجها من النبي ﷺ ، أما أمها فهي: أمية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وقد ولدت في مكة قبل البعثة بعشرين سنة. وكانت رضي الله عنها من السباقات إلى الإسلام في مكة.

تزوجها رسول الله ﷺ في سنة خمس من الهجرة، وقيل: ثلاث، وكانت قبله تحت زيد بن حارثة، فطلَّقها، فزوجها الله إياها من فوق سبع سماوات وأنزل عليه: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ {الأحزاب:٣٧}، وكانت - رضي الله عنها - تفخر بذلك على سائر أزواج رسول الله ﷺ وتقول: زوَّجكن أهاليكن، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات .[5]

ومن خصائصها: كانت من أول نساء النبي ﷺ وفاة بعده، ولحُوقاً به، وصلى عليها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وقال ﷺ لنسائه: (أسرعكنّ لحاقاً بي أطولكن يداً) فكنَّ يتطاولن أيتهن أطولُ يداً. قالت عائشة - رضي الله عنها-:" فكانت زينب أطولنا يداً، لأنها كانت تعمل بيديها وتتصدق"، تُوفيت سنة عشرين، وهي أوَّل من غطِّي نعشها بعد وفاة فاطمة - رضي الله عنه - .[6]

[1] عمرو يوسف . زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ، المرجع السابق .- ص ٣٩.
[2] ابن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة، المصدر السابق، ج ٧ .- ص٦٧٢
[3] ابن عساكر . الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين، ج١، المرجع السابق .- ص ٤٤.
[4] محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري . الطبقات الكبرى، ج٨ .- بيروت : دار صادر .- ص ٨٧.
[5] عائشة عبدالرحمن . نساء النبي (عليه الصلاة والسلام)، المرجع السابق.- ص ١٥٤
[6] ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، المصدر السابق .- ص ٦٦٩.

٨- جُويرية بنت الحارث - رضي الله عنها-:

جُويرية بنت الحارث، هي برّة فسماها رسول الله ﷺ جُويرية كما سمى ميمونة. وهي جويرية بنتُ الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مَالك بن جُذَيْمة – وهو المصطلق- بن سعد بن كعب بن عمرو، هو خُزاعة بن ربيعة بن حارثة بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة بن مازن بن عسَّاف بن الأزد. من بني المصطلق، سباها رسولُ الله ﷺ يوم المريسيع، فصارتْ لثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، أو لابن عمٍ له، وكاتباها، فأتت رسول الله ﷺ تسأله في مكاتبتها، فقال: (أو خير من ذلك ، أشتريك وأعتقك وأتزوَّجك؟) قالت: نعم، فتزوجها، فأطلق الناسُ ما بأيديهم من السَّبي وقالوا: قد صاهر إليهم النبيُّ ﷺ ، وكانت جُويرية أعظم امرأة بركة على قومها، وكان زواجه منها سنة خمس بعد الهجرة، وتُوفيت سنة ستٍ وخمسين - رضي الله عنها- .[١]

ومن فضائلها أن المسلمين قد أعتقوا ما لديهم من سبايا أهل بيتها من الرقيق، وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ وكان ذلك من بركتها على قومها-رضي الله عنها -.

٩- أم حبيبة بنت أبي سفيان - رضي الله عنها-:

أم حبيبة، واسمها رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، وهي ابنة أبي سفيان و أخت معاوية -رضي الله تعالى عنهما-، ولدت قبل البعثة بسبعة عشر عاماً وهاجرت مع زوجها عبُيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فولدتْ له حبيبة بأرض الحبشة، وكان عُبيد الله بن جحش هاجَر مسلماً، ثم تنصَّر هناك وهلك على نصرانيته، وبقيت أمُّ حبيبة مسلمة بأرض الحبشة، وتزوجها النبي ﷺ إليها في سنة ست من الهجرة، وأنها تُوفيت سنة أربع وأربعين على الأرجح - رضي الله عنها- وعن كل أزواجه الطيبات الطَّاهرات إلى يوم الدين، وهي التي أكرمت فراش رسول الله ﷺ أن يجلسَ عليه أبوها (أبو سفيان) لمّا قدمَ المدينة قبل إسلامه، وقالت له: إنك رجل مشركُ فلم أحب أن تجلس عليه. ومنعته من الجلوس عليه .[٢]

١٠- صَفيَّةُ بنت حيي - رضي الله عنها-:

صفية بنت حيي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبُيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب ابن النضير النحَّام ابن ينحوم، من سبط هارون بن عمران، وأمُّها برَّة بنت شموأل، من بني قريظة، وقد تزوجت مرتين. الأولى تزوجها: سلام بن مشكم، ثم تزوجها كنانة بن أبي الحقيق، فقُتل يومَ خيبر، وكانت مما أفاء الله على رسوله، فحجبها بعد أن اصطفاها، ثم أعتقها، وجعل عتقها صداقها. فأولم عليها بتمر وسويق، وقسَم لها، وكانت إحدى أمهات المؤمنين، وذلك في سنة سبع من الهجرة. قال أنس: أمهرها نفسها، وصار ذلك سنة للأمة إلى يوم القيامة، يجوز للرجل أن يجعل عتق جاريته صداقها، وتصيرُ زوجته .[٣]

---

[١] المصدر نفسه، ج ٧ .- ص ٥٦٥.
[٢] عائشة عبدالرحمن . نساء النبي (عليه الصلاة والسلام)، المرجع السابق .- ص ١٩٨- ٢١٢.
[٣] عمرو يوسف . زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، المرجع السابق .- ص .ص ١١-١٢.

قال الترمذي: حدثنا إسحاق بن منصور، وعبد بن حُميد، قالا: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر، عن ثابت عن أنس قال: بلغ صفية أن حفصة قالت: صفية بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال النبيُّ ﷺ: (ما يبكيك؟ الت: قالت لي حفصة: إني ابنة يهودي. فقال النبي ﷺ: إنك لابنة نبيٍّ، وإن عمّك لنبي، وإنك لتحت نبي، فبم تفخرُ عليك؟) ثم قال: (اتّق الله يا حفصة) قال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه. وهذا من خصائصها - رضي الله عنها-.

وكانت صفية حليمة عاقلة، وتُوفيت في رمضان في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - سنة خمسين، - رضي الله عنها-، وصلى عليها مروان بن الحكم ودفنت في البقيع [1].

١١- ميمونة بنت الحارث - رضي الله عنها-:

هي برة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رؤبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة، وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطة بن جرش.

كانت تزوجت أبو رُهمْ بن عبد العُزّى،والذي كان مشركاً ومات على شركه وترك ميمونة أرملة في السادسة والعشرين من عمرها، وبعد وفاة زوجها تزوجها رسول الله ﷺ وهي آخر من تزوج من أمهات المؤمنين وقد عرفت رضي الله عنها بالزهد والتقوى وكثرة الصلاة والتقرب إلى الله تعالى، كما روت عدة أحاديث عن رسول الله ﷺ تتضمن معظمها أحكاماً فقهية [2].

وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ {الأحزاب:٥٠}.

وتُوفيت في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان بعد أن تجاوزت الثمانين من عمرها، ودفنت بسرف في البقعة التي شهدت دخول رسول الله ﷺ بها، وصلّى عليها عبد الله بن عباس، - رضي الله عنهم [3].

---

[1] عمرو يوسف. زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، المرجع السابق .- ص ١٥.
[2] عمرو يوسف. زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، المرجع السابق .- ص ١١٧-١١٩.
[3] عمرو يوسف. زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، المرجع السابق .- ص ١١٩.

	اسم أم المؤمنين	سنة الزواج بها	عمر النبي ﷺ وقت الزواج منها
١	خديجة	١٥ قبل النبوة	٢٥ سنة
٢	سودة	١٠ للنبوة	٥٠ سنة
٣	عائشة	١١ للنبوة	٥١ سنة
٤	حفصة	٣ هـ	٥٦ سنة
٥	زينب بنت خزيمة	٤ هـ	٥٧ سنة
٦	أم سلمة	٤ هـ	٥٧ سنة
٧	زينب بنت جحش	٥ هـ	٥٨ سنة
٨	جويرية	٦ هـ	٥٩ سنة
٩	أم حبيبة	٧ هـ	٦٠ سنة
١٠	صفية بنت حيي	٧ هـ	٦٠ سنة
١١	ميمونة بنت الحارث	٧ هـ	٦٠ سنة

{ جدول يوضح عمر النبي ﷺ حين زواجه من أمهات المؤمنين- رضي الله عنهن- }

فضلهن ومكانتهن في الإسلام

ما ورد في فضلهن كلهن مجملا ، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهن في كتابه فقال: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ {الأحزاب:٣٢}.

عن عوف بن الحارث عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول لأزواجه: (إن الذي يحبو عليكن بعدي لهو الصادق البار اللهم اسق عبدالرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة).

قال إبراهيم فحدثني بعض أهلنا من ولد عبد الرحمن أن عبد الرحمن باع ماله بكيدمة وهو سهمه من بني النضير بأربعين ألف دينار فقسمه على أزواج النبي ﷺ هذا حديث غريب من حديث عوف بن الحارث أبي الطفيل المدني عن أم سلمة زوج النبي ﷺ تفرد به محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن عبدالرحمن التميمي وقد روى عاليا من وجه آخر عن إبراهيم بن سعد عنه والله أعلم. وإنما سمي بارا لأنهن أمهات المؤمنين فكان كالبار بأمه .[١]

وعن أبي سعيد الخدري عن أم سلمه -رضي الله عنها- قالت: " نزلت هذه الآية في بيتي إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، قلت يا رسول الله ألست من أهل البيت قال إنك إلى خير إنك من أزواج رسول الله ﷺ . لقد فضلت عائشة بأفضال على نساء النبي ﷺ منها: أن الوحي أنزل في بيتها " لحافها" وأنها كانت ترى جبريل،وأن الله سبحانه وتعالى برأها بآية من السماء في سورة النور قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ {النور:١١}، وعن ذلك تقول عائشة رضي الله عنها: " فضلت على نساء النبي ﷺ بعشر: قيل: ما هن يا أم المؤمنين؟ قالت:لم ينكح بكراً قط غيري، ولم ينكح امرأة أبوها مهاجران غيري، وأنزل الله عز وجل براءتي من السماء، وجاء جبريل بصورتي من السماء في حريرة، قال تزوجها فإنها امرأتك، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه، ولم يكن يفعل ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من نسائه غيري، وقبض الله نفسه وهو بين سحري ونحري، ومات في الليلة التي يدور علي فيها ودفن في بيتي .[٣]

وقد ورد حديث في البخاري عن عائشة أنها قالت: " قال رسول الله ﷺ يوماً: يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى ".

هذا وقد كانت عائشة من المهاجرات للمدينة، شهدت مع رسول الله ﷺ معظم غزواته، وكانت من المجاهدات في الحروب، وتوفي ﷺ في بيتها بعد أن تسوك بسواك تسوكت هي به رضي الله عنها.

---

[١] ابن عساكر . الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين، ج١، المرجع السابق .- ص ١٠٤.
[٢] المرجع نفسه .- ص. ص ١٠٥- ١٠٦.
[٣] سامية منيسي . الصحابيات ودورهن في بناء أمة الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الكتاب الأول : أمهات المؤمنين والقرشيات.- القاهرة : دار المريخ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .- ص ٧٣.

وكانت تنفق بسخاء في سبيل الله ودون حساب كالسيل المتدفق، وقد زادت مكانة السيدة عائشة رضي الله عنها عند رسول الله ﷺ بعد ما نزل فيها من الآيات تشهد لها بالطهر والنقاء من فوق سبع سماوات.

كما أن الرسول ﷺ عندما خرج غازياً خيبر في جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة – بعد نحو عام من محنة الإفك- ليتخذ رايته الأولى من برد لزوجته عائشة تدعى العقاب [١].

وكان المسلمون يعلمون مدى حب الرسول لعائشة وإيثاره إياها فينتظرون حتى يكون في بيتها من يبعثون إليه بالهدايا. وقد ورد حديث عن أنس بن مالك قال: " قال رسول الله ﷺ : فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " [٢].

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).

وأما ورد في فضل خديجة -رضي الله عنها- روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى جبريل النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب..)، لقد تفردت خديجة بهذا الفضل.. ومن أجل ذلك كان رسول الله ﷺ ، دائم الذكر لها والحنين إليها، يترحم عليها، ويتحدث بأيامها، ويبر صواحبها، ويتهلل لمن يراه من أهلها [٣].

وتُعَّد سودة - رضي الله عنها - من فواضل نساء عصرها، أسلمت وبايعت النبي ﷺ، وهاجرت إلى أرض الحبشة. تزوج بها الرسول ﷺ وكانت إحدى أحب زوجاته إلى قلبه، عرفت بالصلاح والتقوى، روت عن النبي أحاديث كثيرة وروى عنها الكثير، ونزلت بها آية الحجاب، فسجد لها ابن عباس. وكانت تمتاز بطول اليد، لكثرة صدقتها حيث كانت امرأة تحب الصدقة [٤].

أما فضل زينب بنت جحش فتقول: أن الله سبحانه وتعالى زوجني من فوق سبع سماوات [٥]، وكانت -رضي الله عنها- كثيرة الإنفاق في سبيل الله.

* * *

[١] المرجع نفسه .- ص. ص ٧٦-٧٧.
[٢] المرجع نفسه .- ص ٨١.
[٣] مصطفى الطحان . أمهات المؤمنين في مدرسة النبوة .- ط١، بدون مكان، بدون ناشر، ١٤٢٣هـ .- ص ٢٥ .
[٤] محمد برهان . زوجات حول صلى الله عليه وسلم، المرجع السابق .- ص ٥.
[٥] مصطفى الطحان . أمهات المؤمنين في مدرسة النبوة، المرجع السابق .- ص ٦٠ .

المبحث الثاني

الحِكَم العظيمة من تعدُّدِ زوجاته ﷺ ،

ودورهن في نقل سنته ﷺ ،والتعريف بأحواله الاجتماعية الخاصة

إن الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ كثيرة ومتشعبة ويمكننا أن نجملها فيما يلي:

- أولاً: الحكمة التعليمية.
- ثانيًا: الحكمة التشريعية.
- ثالثًا: الحكمة الاجتماعية.
- رابعًا: الحكمة السياسية

أولاً: الحكمة التعليمية

لقد كانت الغاية الأساسية من تعدد زوجات الرسول ﷺ هي تخريج بعض معلمات للنساء يعلمهن الأحكام الشرعية، فالنساء نصيف المجتمع، وقد فرض عليهن من التكاليف ما فرض على الرجال.

وقد كان الكثيرات منهن يستحيين من سؤال النبي ﷺ عن بعض الأمور الشرعية وخاصة المتعلقة بهن كأحكام الحيض والنفاس والجنابة والأمور الزوجية وغيرها من الأحكام، وقد كانت المرأة تغالب حياءها حينما تريد أن تسأل الرسول الكريم ﷺ عن بعض هذه المسائل، كما كان من خلق الرسول ﷺ الحياء الكامل، وكان كما تروي كتب السنة أشد حياءً من العذراء في خدرها، فما كان ﷺ يستطيع أن يجيب عن كل سؤال يعرض عليه من جهة النساء بالصراحة الكاملة بل كان يكني في بعض الأحيان ولربما لم تفهم المرأة عن طريق الكناية مراده عليه السلام.

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فعلّمها ﷺ كيف تغتسل ثم قال لها: ((خذي فرصة ممسكة ـ أي قطعة من القطن بها أثر الطيب ـ فتطهري بها)) قالت: كيف أتطهر بها؟ قال: ((تطهري بها)) قالت: كيف يا رسول الله أتطهر بها؟ فقال لها: ((سبحان الله تطهري بها))، قالت السيدة عائشة: فاجتذبتها من يدها فقلت: ضعيها في مكان كذا وكذا وتتبعي بها أثر الدم. وصرحت لها بالمكان الذي تضعها فيه، فكان ﷺ يستحي من مثل هذا التصريح.

وهكذا كان القليل أيضًا من النساء من تستطيع أن تتغلب على نفسها وعلى حيائها فتجاهر النبي ﷺ بالسؤال عما يقع لها، نأخذ مثلاً لذلك حديث أم سلمة المروي في الصحيحين وفيه تقول: جاءت أم سُليم ـ زوج أبي طلحة ـ إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال لها النبي ﷺ: ((نعم إذا رأت الماء)) فقالت أم سلمة: لقد فضحت النساء، ويحك أو تحتلم المرأة؟ فأجابها النبي الكريم بقوله: ((إذًا فيم يشبهها الولد؟)).

مراده عليه السلام أن الجنين يتولد من ماء الرجل وماء المرأة، ولهذا يأتي له شبه بأمه، وهكذا كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ {الإنسان:٢}. قال ابن كثير رحمه الله: "أمشاج أي أخلاط والمشج والمشيج الشيء المختلط بعضه في بعض، قال ابن عباس: يعني ماء الرجل وماء المرأة، إذا اجتمعا واختلطا..."

وهكذا مثل هذه الأسئلة المحرجة، كان يتولى الجواب عنها فيما بعد زوجاته الطاهرات، ولهذا تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (رحم الله نساء الأنصار؛ ما منعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)، وكانت المرأة منهن تأتي إلى السيدة عائشة في الظلام لتسألها عن بعض أمور الدين، وعن أحكام الحيض والنفاس والجنابة وغيرها من الأحكام، فكان نساء الرسول خير معلمات وموجهات لهن وعن طريقهن تفقه النساء في دين الله.

ثم إنه من المعلوم أن السنة المطهرة ليست قاصرة على قول النبي ﷺ فحسب، بل هي تشمل قوله وفعله وتقريره، وكل هذا من التشريع الذي يجب على الأمة اتباعه، فمن ينقل لنا أخباره وأفعاله عليه السلام في المنزل غير هؤلاء النسوة اللواتي أكرمهن الله، فكن أمهات للمؤمنين، وزوجات لرسوله الكريم في الدنيا والآخرة؟!

لا شك أن لزوجاته الطاهرات رضوان الله عليهن أكبر الفضل في نقل جميع أحواله وأطواره وأفعاله المنزلية عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولقد أصبح من هؤلاء الزوجات معلمات ومحدثات نقلن هديه عليه السلام، واشتهرن بقوة الحفظ والنبوغ والذكاء.

ثانيًا: الحكمة التشريعية

ونتحدث الآن عن الحكمة التشريعية التي هي جزء من حكمة تعدد زوجات الرسول ﷺ ، وهذه الحكمة ظاهرة تدرك بكل بساطة، وهي أنها كانت من أجل إبطال بعض العادات الجاهلية المستنكرة، ونضرب لذلك مثلاً بدعة التبني التي كان يفعلها العرب قبل الإسلام فقد كانت دينًا متوارثًا عندهم، يتبنى أحدهم ولدًا ليس من صلبه ويجعله في حكم الولد الصلبي، ويتخذه ابنًا حقيقيًا له حكم الأبناء من النسب في جميع الأحوال؛ في الميراث والطلاق والزواج ومحرمات المصاهرة ومحرمات النكاح إلى غير ما هنالك مما تعارفوا عليه، وكان دينًا تقليديًا متبعًا في الجاهلية.

كان الواحد منهم يتبنى ولد غيره فيقول له: "أنت ابني، أرثك وترثني"، وما كان الإسلام ليقرهم على باطل، ولا ليتركهم يتخبطون في ظلمات الجاهلة، فمهد لذلك بأن ألهم رسوله عليه السلام أن يتبنى أحد الأبناء ـ وكان ذلك قبل البعثة النبوية ـ فتبنى ﷺ زيد بن حارثة على عادة العرب قبل الإسلام. وفي سبب تبنيه قصة من أروع القصص، وحكمة من أروع الحكم ذكرها المفسرون وأهل السير، لا يمكننا الآن ذكرها لعدم اتساع المجال. وهكذا تبنى النبيُ الكريم زيدَ بن حارثة، وأصبح الناس يدعونه بعد ذلك اليوم زيد بن محمد.

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (إن زيد بن حارثة مولى رسول ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ {الأحزاب:٥}، فقال النبي ﷺ: ((أنت زيد بن شراحبيل)).

وقد زوجه عليه السلام بابنة عمته زينب بن جحش الأسدية، وقد عاشت معه مدة من الزمن، ولكنها لم تطل فقد ساءت العلاقات بينهما، فكانت تغلظ له القول، وترى أنها أشرف منه؛ لأنه كان عبدًا مملوكًا قبل أن يتبناه الرسول وهي ذات حسب ونسب.

ولحكمة يريدها الله تعالى طلق زيد زينب، فأمر الله رسوله أن يتزوجها ليبطل بدعة التبني ويقيم أسس الإسلام، ويأتي على الجاهلية من قواعدها، ولكنه ﷺ كان يخشى من ألسنة المنافقين والفجار، أن يتكلموا فيه ويقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فكان يتباطأ حتى نزل العتاب الشديد لرسول الله ﷺ ، في قوله جل وعلا: ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ

أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ ﴾ {الأحزاب:٣٧}.

وهكذا انتهى حكم التبني، وبطلت تلك العادات التي كانت متبعة في الجاهلية، وكانت دينًا تقليديًا لا محيد عنه ونزل قوله تعالى مؤكدًا هذا التشريع الإلهي الجديد ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾ ﴾ {الأحزاب:٤٠}.

وقد كان هذا الزواج بأمر من الله تعالى، ولم يكن بدافع الهوى والشهوة كما يقول بعض الأفاكين المرجفين من أعداء الله، وكان لغرض نبيل وغاية شريفة هي إبطال عادات الجاهلية وقد صرّح الله عز وجل بغرض هذا الزواج بقوله: ﴿ لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗا ﴾ {الأحزاب:٣٧}.

وقد تولى الله عز وجل تزويج نبيه الكريم بزينب امرأة ولده من التبني، ولهذا كانت تفخر على نساء النبي بهذا الزواج الذي قضى به رب العزة من فوق سبع سماوات.

روى البخاري بسنده أن زينب رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: (زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات)، وهكذا كان هذا الزواج للتشريع وكان بأمر الحكيم العليم فسبحان من دقت حكمته أن تحيط بها العقول والأفهام وصدق الله: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ {الإسراء:٨٥}.

ثالثًا: الحكمة الاجتماعية

أما الحكمة الثالثة فهي الحكمة الاجتماعية، وهذه تظهر بوضوح في تزوج النبي ﷺ بابنة الصديق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه، وزيره الأول، ثم بابنة وزيره الثاني الفاروق عمر رضي الله عنه وأرضاه، ثم باتصاله ﷺ بقريش اتصال مصاهرة ونسب وتزوجه العدد منهن مما ربط بين هذه البطون والقبائل برباط وثيق وجعل القلوب تلتف حوله وتلتقي حول دعوته في إيمان وإكبار وإجلال.

لقد تزوج النبي ﷺ بالسيدة عائشة بنت أحب الناس إليه وأعظمهم قدرًا لديه ألا وهو أبو بكر الصديق الذي كان أسبق الناس إلى الإسلام، وقدم نفسه وروحه وماله في سبيل نصرة دين الله والذود عن رسوله وتحمل ضروب الأذى في سبيل الإسلام حتى قال ﷺ كما في الترمذي مشيدًا بفضل أبي بكر: ((ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدًا يكافيه الله تعالى بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، وما عرضت الإسلام على أحد إلا تردد ما عدا أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إلا وإن صاحبكم خليل الله تعالى)).

فلم يجد الرسول ﷺ مكافأة لأبي بكر في الدنيا أعظم من أن يقر عينه بهذا الزواج بابنته ويصبح بينهما مصاهرة وقرابة تزيد في صداقتهما وترابطهما الوثيق، كما تزوج ﷺ بالسيدة حفصة بنت عمر، فكان ذلك قرة عين لأبيها عمر على إسلامه وصدقه وإخلاصه وتفانيه في سبيل هذا الدين، وعمر هو بطل الإسلام الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين، ورفع به منار الدين، فكان اتصاله ﷺ به عن طريق المصاهرة خير مكافأة له على ما قدم في سبيل الإسلام، وقد ساوى ﷺ بينه وبين وزيره الأول أبي بكر في تشريفه بهذه المصاهرة فكان زواجه بابنتيهما أعظم شرف لهما بل أعظم مكافأة ومنة ولم يكن بالإمكان أن يكافئهما في هذه الحياة بشرف أعلى من هذا الشرف فما أجل سياسته، وما أعظم وفاءه للأوفياء المخلصين.

كما يقابل ذلك إكرامه لعثمان وعلى رضي الله عنهما بتزويجهما ببناته وهؤلاء الأربعة هم أعظم أصحابه وخلفاؤه من بعده في نشر ملته وإقامة دعوته فما أجلها من حكمة وما أكرمها من نظرة.

رابعًا: الحكمة السياسية

لقد تزوج النبي ﷺ ببعض النسوة من أجل تأليف القلوب عليه وجمع القبائل حوله، فمن المعلوم أن الإنسان إذا تزوج من قبيلة أو عشيرة يصبح بينه وبينهم قرابة ومصاهرة، وذلك بطبيعته يدعوهم إلى نصرته وحمايته ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك لتتضح لنا الحكمة التي هدف إليها الرسول الكريم من وراء هذا الزواج:

أولاً: تزوج ﷺ بالسيدة جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها، ثم بعد أن وقعت تحت الأسر أرادت أن تفتدي نفسها، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال فعرض عليها الرسول الكريم أن يدفع عنها الفداء وأن يتزوج بها فقبلت ذلك، فتزوجها فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ تحت أيدينا ـ أي أنهم في الأسر ـ فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو وهذه الشهامة والمروءة أسلموا جميعًا ودخلوا في دين الله وأصبحوا من المؤمنين، فكان زواجه ﷺ بها بركة عليها وعلى قومها وعشيرتها لأنه كان سببًا لإسلامهم وعتقهم وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها.

أخرج البخاري في صحيحة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أصاب رسول الله ﷺ نساء بني المصطلق فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفارس سهمين والراجل سهمًا فوقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس، فجاءت إلى الرسول ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من الأمر ما قد علمت، وقد كاتبني ثابت على تسع أواق فأعني على فكاكي فقال عليه السلام: ((أو خير من ذلك؟)) فقالت: ما هو؟ فقال: ((أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك)) فقالت: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: ((قد فعلت)) وخرج الخبر إلى الناس فقالوا: أصهار رسول الله يسترقون؟ فأعتقوا ما كان في أيديهم من سبي بني المصطلق فبلغ عتقهم مائة بيت بتزوجه عليه السلام بنت سيد قومه.

ثانيًا: وكذلك تزوجه ﷺ بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب التي أسرت بعد قتل زوجها في غزوة خيبر، ووقعت في سهم بعض المسلمين فقال أهل الرأي والمشورة: هذه سيدة بني قريظة لا تصلح إلا لرسول الله ﷺ، فعرضوا الأمر على الرسول الكريم فدعاها وخيرها بين أمرين:

- إما أن يعتقها ويتزوجها ﷺ فتكون زوجة له.
- وإما أن يطلق سراحها فتلحق بأهلها.

فاختارت أن يعتقها وتكون زوجة له، وذلك لما رأته من جلالة قدره وعظمته وحسن معاملته، وقد أسلمت وأسلم بإسلامها عدد من الناس.

روي أن صفية رضي الله عنها لما دخلت على النبي ﷺ قال لها: لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة حتى قتله الله، فقالت يا رسول الله: إن الله يقول في كتابه: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ {فاطر:١٨}، فقال لها الرسول الكريم ﷺ: اختاري فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك، فقالت: يا رسول الله: لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب وما لي فيها والد ولا أخ وخيرتني الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي، فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه.

ثالثًا: وكذلك تزوجه ﷺ بالسيدة أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان الذي كان في ذلك الحين حامل لواء الشرك وألد الأعداء لرسول الله ﷺ ، وقد أسلمت ابنته في مكة ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فرارًا بدينها، وهناك مات زوجها، فبقيت وحيدة فريدة لا معين لها ولا أنيس، فلما علم الرسول الكريم ﷺ بأمرها أرسل إلى النجاشي ملك الحبشة ليزوجه إياها، فأبلغها النجاشي ذلك فسرت سرورًا لا يعرف مقداره إلا الله سبحانه؛ لأنها لو رجعت إلى أبيها أو أهلها لأجبروها على الكفر والردة أو عذبوها عذابًا شديدًا، وقد أصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا نفيسة، ولما عادت إلى المدينة المنورة تزوجها النبي المصطفى ﷺ. ولما بلغ أبا سفيان الخبر أقر ذلك الزواج وقال: "هو الفحل لا يقدع أنفه"، فافتخر بالرسول ﷺ ولم ينكر كفاءته له إلى أن هداه الله تعالى للإسلام، ومن هنا تظهر لنا الحكمة الجليلة في تزوجه ﷺ بابنة أبي سفيان، فقد كان هذا الزواج سببًا لتخفيف الأذى عنه وعن أصحابه المسلمين سيما بعد أن أصبح بينهما نسب وقرابة مع أن أبا سفيان كان وقت ذاك من ألد بني أمية خصومة لرسول الله ﷺ ومن أشدهم عداء له وللمسلمين، فكان تزوجه بابنته سببًا لتأليف قلبه وقلب قومه وعشيرته كما أنه ﷺ اختارها لنفسه تكريمًا لها على إيمانها لأنها خرجت من ديارها فارة بدينها فما أكرمها من سياسة وما أجلها من حكمة.

* * *

المبحث الثالث

شُبُهَاتُ الحاقدينَ على الإِسْلامِ
حَولَ تَعَدُّدِ زوجاته ﷺ،
والردُّ عليهم

الشبهة الأولى

فإن أعداء الإسلام يحاولون التشكيك في الدين وإثارة الشبهات حوله، من خلال الطعن في شخص الرسول ﷺ ولذلك تراهم مثلاً يدندنون كثيرًا حول تعدُّد زوجات النبي ﷺ زاعمين أن ذلك يتنافى مع مقام النبوَّة، ومع مقرَّرات الشرع الإسلامي التي سمحت للرجل بالجمع بين أربع زوجات فقط كحدٍّ أقصى.

وللرد على تلك الافتراءات نقول:

أولاً: إن فعل النبي ﷺ مرتبِط بالوحي والتشريع، فهو بيان للأحكام وتوضيح للمقصود من أمر الله؛ لأنه ﷺ أعلم الناس بشرع الله الذي عليه أُنزِل، وهو وحده المبلِّغ عن الله لهذا الشرع، فلا يُعلَم الدين إلا من جهته، وهو وحده الذي عصَمَه الله - تعالى - في أقواله وأفعاله، فكانت بذاتها حجَّة في شرع الله.

فلا يمكن لأيِّ شخصٍ أن يدَّعي أن النبي ﷺ قد خالَف الشرع؛ وإلاَّ لزِمَه أن يدَّعي أيضًا أنه أعلم من المعصوم ﷺ بالشرع الذي عليه أُنزِل، أو أنه علم الدين من طريقٍ غير طريق الوحي، وكل ذلك باطل شرعًاوعقلاً.

ومن هنا يتَّضح بجلاءٍ بطلان زعم المفتري مخالفة النبي ﷺ لشرع الإسلام، واستحالة حدوث ذلك.

ثانيًا: من المقرَّر في أصول الشريعة الإسلامية أن الرسول ﷺ قد انفرد عن أمَّته بجملةٍ من الأحكام الخاصة التي لا يشاركه فيها غيره، منها[١]:

- أن التهجد وقيام الليل كان فريضة عليه.
- أن الأخذ من أموال الزكاة والصدقات محرَّم عليه وعلى آله.
- أن الوصال في الصيام كان مباحًا له ﷺ.

ومن جملة هذه الأحكام أيضًا: إباحة الجمع بين أكثر من أربع زوجات في وقت واحد، فهذه خصيصة من ضمن جملة خصائص، وليست الخصيصة الوحيدة.

واختصاص النبي ﷺ بجملةٍ من الأحكام التي لا تنبغي لغيره ليس بغريبٍ أو بعيدٍ؛ لأن النبي ﷺ ليس كأيِّ شخص من عموم أمَّته؛ بل له من المكانة والحقوق ما ليس لغيره، وعليه من الواجبات والتكليفات ما ليس على غيره، ولا بُدَّ أن تتناسَب الأحكام والتشريعات مع هذه المقامات المختلفة.

ثالثًا: إن جمع النبي ﷺ بين أكثر من أربع زوجات هو ممَّا أباحه الله له؛ ودليل ذلك هو قوله تعالى:

[١] انظر: "أحكام القرآن"؛ للقاضي ابن العربي (٥٩٨/٣).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾ {الأحزاب:٥٠}.

وطالما ثبت أن هذا الزواج حلال لا ريب فيه قد أحلَّه الله رب العالمين لرسوله الكريم ﷺ فلا يمكن الاعتراض عليه أو اعتباره نقيصة أو عيبًا.

رابعًا: كل زيجات النبي ﷺ تمّت بقبول ورضا تام من زوجاته - رضوان الله عليهن جميعًا - ولم يُعرَف عن إحداهن أنها لم تكن راضية بهذا الزواج، بل كُنَّ جميعًا في قمَّة السعادة والرضا بهذا الزواج، رغم ما عشن فيه من ضيق في العيش، وقلَّة في متاع الدنيا.

ولقد خيَّرهن الله - تعالى - بين البقاء مع النبي ﷺ وتحمُّل المعيشة الخالية من المُتَع الدنيوية، وبين أن يطلِّقهن الرسول ﷺ فيتمتَّعن بالدنيا وزينتها، فاخترن جميعًا برضا تام البقاءَ معه وعدم مفارقته.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "لما أُمِر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: ((إني ذاكرٌ لك أمرًا فلا عليك ألاَّ تعجلي حتى تستأمري أبويك))، قالت: قد علم أن أبويَّ لم يكونا ليأمراني بفراقه.

قالت: ثم قال: ((إن الله - عزَّ وجلَّ - قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٢٩ ﴾ {الأحزاب:٢٨-٢٩}.))، قالت: فقلت: في أيِّ هذا أستأمر أبويَّ؟ فإني أريد اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرةَ، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - مثل ما فعلت" .[١]

فإن كان هذا الزواج قد أباحَه الله - تعالى - وتَمَّ برضا الزوجات جميعًا، فَمَن ذا الذي له الحق أن يعترض؟ ومن أيِّ جهة يعترض؟

خامسًا: راعَى الرسول ﷺ مصالح في كلِّ زيجاته؛ منها مصالح عامَّة مشتركة بين كلِّ الزيجات، ومنها مصالح عامَّة انفردتْ بها بعض الزيجات، ومنها مصالح خاصة متعلقة بزيجة بعينها.

فمن المصالح العامة المشتركة:

١- أن تتولَّى أمَّهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - تعليم النساء، لا سيَّما الأمور التي تخصُّ المرأة وتستحي أن يطَّلع الرجال عليها.

[١] البخاري (٤٤١٢)، ومسلم (٢٦٩٦).

٢- أن تنقل أمهات المؤمنين - رضوان الله عليهن - للناس ما يحدث داخل بيت النبي ﷺ من حكم وأحكام، كما أمرهن الله - تعالى - في قوله: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ {الأحزاب:٣٤}.

٣- إعلاء شأن المرأة في المجتمع الذي نشأ على جاهلية كانت تهين المرأة وتحقر من شأنها، وتعدُّها مجرَّد متاع يُورث، أو وعاءً لإشباع المتع الجنسية، أو سببًا من أسباب الفقر والعار والشؤم.

أمَّا زوجات النبي ﷺ فقد صرن أمهات لكلِّ المؤمنين، ومعلِّمات لكلِّ الأمَّة رجالها ونسائها، فحظين بشرفٍ ومكانةٍ تفخر بها كل امرأة مسلمة.

ومن المصالح العامَّة التي انفردت بها زيجات معيَّنة:

١- جذب كبار القبائل العربية وزعمائها وتقريبهم للإسلام بمصاهرتهم؛ فإن الصهر والنسب من الأمور المؤثِّرة في نفس الإنسان العربي، وكثيرًا ما صدَّت العصبية القبَليَّة الجاهلية بعضَ العرب عن الدخول في دين الله - تعالى - وكان لا بُدَّ من معالجة هذه الأمراض الجاهلية بشيءٍ من الحكمة والرحمة، فكانت هذه الزيجات مفتاحًا لقلوبٍ أغلقَتْها حميَّة الجاهلية، وتقريبًا لنفوسٍ أبعدَتْها عصبيات قبلية.فقد تزوَّج النبي ﷺ مثلاً بجويرية بنت الحارث - رضي الله عنها - وكانت سيِّدة قومها بني المصطلق، وكان لهذا الزواج غاية عظيمة؛ فقد أعتق المسلمون مَن كان بأيديهم من أسرى بني المصطلق وقالوا: أصهار رسول الله يسترقون ؟!

حتى قالت عائشة - رضِي الله عنها -: فلقد أعتق بتزويجه إيَّاها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأةً كانت أعظم على قومها بركة منها.

وبفضل الله - تعالى - كان هذا الزواج المبارك من الأسباب التي دعَتْ بني المصطلق جميعًا إلى الدخول طواعيةً في دين الله - تعالى - وترك الكفر والشرك [١].

٢- حِكَم تشريعية؛ كتحريم التبنِّي، وإلغاء كل الآثار المبنيَّة عليه؛ كما حدث في زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش - رضي الله عنها-؛ قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ {الأحزاب:٣٧}.

[١] "زاد المعاد" (٢٥٨/٣)، "سيرة ابن هشام" (٢٩٥/٢).

٣- إكرام النبي ﷺ وتشريفه لكبار أصحابه بتقريبهم منه بالمصاهرة؛ كما فعل مع أبي بكر الصدِّيق بزواجه من ابنته عائشة، وعمر بن الخطاب بزواجه من ابنته حفصة، وكتزويجه ﷺ ابنتيه رقية وأم كلثوم لعثمان بن عفان، وابنته فاطمة لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم جميعًا.

ومن المنافع الخاصة: مراعاة ظروف خاصَّة لبعض زوجاته ﷺ مثل:

١- زواج النبي ﷺ من سَوْدَة بنت زَمْعَة التي كانتْ من المهاجرات إلى الحبشة، وكان زوجها السكران بن عمرو قد أسلم وهاجَر معها وتوفي عنها هناك، وكان أهلها كفارًا، فلو رجعت إليهم فربما عذَّبوها وفتنوها عن دينها، فكان زواج النبي ﷺ منها شفقة بها، وإنقاذًا لها ممَّا قد تعانيه من ظلم واضطهاد.

٢- زواج النبي ﷺ من أم سلمة هند بنت أبي أمية، وكانت امرأة مسنَّة وذات عيال، وتوفي عنها زوجها وكانت شديدة التعلُّق به، فتزوَّجها النبي ﷺ إشفاقًا عليها ورحمةً بأيتامها - رضي الله عنها.

سادسًا: إن النبي الكريم ﷺ لم يكن في زيجاته خاضعًا لرغبة أو شهوة، فقد تبيَّن عند النظر والتحقيق أن هذه الزيجات قد جاءت مراعاةً للمصالح العامَّة للأمَّة، والخاصَّة لآحاد الرعيَّة.

وممَّا يدلُّ على أن هذه الزيجات لم تكن لمحض الشهوة:

١- أن الرسول ﷺ بدأ زواجه في الخامسة والعشرين من السيدة خديجة التي كانت في الأربعين من عمرها وسبق لها الزواج مرَّتين، واستمرَّ الزواج خمسًا وعشرين سنة لم يتزوَّج عليها حتى ماتتْ، وكان عمره - صلَّى الله عليه وسلَّم - وقتَها خمسين عامًا.

٢- لم يتزوَّج النبي ﷺ بكرًا قطُّ إلا واحدة من إحدى عشرة امرأة، فكلُّ أزواجه سبق لهن الزواج إلا عائشة - رضي الله عنهن جميعًا.

٣- أكثر زوجاته تزوَّجهن بعد بلوغه أكثر من ٥٧ سنة.

سابعًا: إن تعدُّد زوجات النبي ﷺ لم يكن شاغلاً له عن أداء مهمَّته التي كلَّفه الله بها على خير وجه، فقد عاش حياته الكريمة داعيًا ومعلمًا وقائدًا ومجاهدًا في سبيل الله، حتى صار الإسلام مسيطرًا على جزيرة العرب بأكملها، ومنطلقًا نحو ربوع الأرض كلها، فهدى اللهُ به من الضلال، وبصَّر به من العمى، وفتح به آذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا، ولم يمتْ إلا وقد كمل الدين، وتمَّت الشريعة بشهادة الله - عزَّ وجلَّ - القائل: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ {المائدة:٣}.

ثم بشهادة أصحابه - رضوان الله عليهم - حين سألهم رسول الله ﷺ في خطبة الوداع: ((وقد تركت فيكم ما لن تضلُّوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تسألون عنِّي، فما أنتم قائلون؟))، فقالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت

ونصحت .بل كان هذا الزواج المبارك من الأمور المساعدة على نشر هذا الدين؛ حيث ساهمت أمَّهات المؤمنين في نقل جزء غير قليل من سنَّة رسول الله ﷺ وأخباره وسيرته للأمَّة بأسرها، وساهمن في تعليم الرجال والنساء هديَ النبي ﷺ وكنَّ أسوة تُتبع، وأنموذجًا يُحتذى، فرضي الله عنهن، وجزاهن خير الجزاء.

الشبهة الثانية

كيف كان لديه الوقت الكافي لنشر الدعوة مع كل هذا الكم من النساء؟

وللرد على هذا الافتراء نقول:

فالأمر أكبر من هذا بكثير، فلم تكن مجرد دعوة بل هذا كان إلى جانب إنشاء دولة وسياسة أمة عسكريا واجتماعيا واقتصاديا وتربويا في وقت تكالبت عليه الأعداء في جزيرة العرب من داخل المدينة حيث اليهود والمنافقون، ومن خارجها حيث قبائل العرب مجتمعة، بل لقد واجهت هذه الدولة الوليدة الدول التي كانت تحكم العالم في ذلك الوقت الفرس والروم نقول هذا لنبين أن هذا المطعن إنما هو في الحقيقة مظهر من مظاهر العظمة في شخصية النبي ﷺ، بل هو في الحقيقة معجزة من المعجزات التي أيده الله تعالى بها.

ومن جانب آخر فإن في هذا الملمح بيانا ظاهرا لما سبق من أن النبي ﷺ لم يكن يجمع بين النساء لتحصيل شهوة أو لذة، وإنما لمصالح عليا وغايات كبرى تصب في النهاية لمصلحة نشر هذه الدعوة الجديدة ونصرة هذا الدين القويم.

الشبهة الثالثة

أليس من طبيعة المرأة أنها لا تتحمل أن تكون بدون زوج خصوصا وإن كانت صغيرة؟ وقد حث الشرع على زواج الأرامل، فلماذا حرم ذلك على زوجات النبي ﷺ ؟ أليس هذا ظلما لهن ؟ وخصوصا أن معظمهن كن صغيرات، فالسيدة عائشة كانت وقتها في الثامنة عشرة، وإذا كان الزواج من الأرملة تعد على الزوج الميت، فلماذا يسمح بذلك في حق المؤمنين، ولا يسمح به في حق النبي ﷺ؟

وللرد على هذا الافتراء نقول:

العلة من تحريم زوجات النبي ﷺ على غيره، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٣]. فقد أشار القرآن إلى علة ذلك فقال تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]. قال السعدي: ترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أنهن لا يحللن لأحد من بعده. اهـ.

[1] مسلم (٢١٣٧).

وفي هذا من التشريف لهن شيء عظيم لم تشاركهن فيه امرأة، وفي هذا التحريم أيضا منفعة لهن لا تدانيها منفعة، وهي كونهن أزواجه ﷺ في الجنة، فإن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا، قال الشيخ الجزائري: حرم الله نكاح أزواجه من بعده وجعل لهن حكم الأمهات، وقال ﷺ: زوجاتي في الدنيا هن زوجاتي في الآخرة. وهذه علة من علل التحريم أيضا. اهـ. وقال القرطبي: حرم الله نكاح أزواجه من بعده وجعل لهن حكم الأمهات، وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته ﷺ. قال الشافعي رحمه الله: وأزواجه ﷺ اللاتي مات عنهن لا يحل لأحد نكاحهن، ومن استحل ذلك كان كافرًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ {الأحزاب:٥٣}

وقد قيل: إنما منع من التزوج بزوجاته، لأنهن أزواجه في الجنة، وأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها. اهـ.

وقال الشيخ الشعراوي: الرجال الذين يختلفون على امرأة توجد بينهم دائماً ضغائن وأحقاد، فالرجل يُطلِّق زوجته ويكون كارهاً لها، لكن حين يتزوجها آخر تحلو في عينه مرة أخرى فيكره مَنْ يتزوجها، وهذه كلها أمور لا تنبغي مع شخص رسول الله، ولا يصح لمن كانت زوجة لرسول الله أن تكون فراشاً لغيره أبداً، لذلك جعلهن الله أمهات للمؤمنين جميعاً. اهـ.

فإذا دققنا النظر لم نجد في هذا التحريم ظلما لهن، بل فيه إنعام كبير وإكرام شهير، وأي امرأة من المؤمنات تغبطهن على هذه المكانة والمنزلة العظيمة، ولذلك لما خيرهن النبي ﷺ بينه وبين الدنيا وزينتها، كما قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ {الأحزاب:٢٨-٢٩}. اخترنه جميعا رضي الله عنهن.

ثم لا يخفى أن أي امرأة تعاشر النبي ﷺ وتتطلع على مكارم أخلاقه وكريم عشرته وكمالاته التي خصه الله تعالى بها لا يمكن أن ترضى زوجا بعده ولا أن تسعد معه في الدنيا، فكيف وهي تعلم أن ذلك يحرمها من مرافقة النبي ﷺ في درجته في الجنة.

الشبهة الرابعة

لماذا الذكر الكثير في القرآن لمشكلات النبي ﷺ الخاصة مع أزواجه، مثل حديث الإفك وكذلك الآيات الخاصة بالحديث الذي أسره ﷺ إلى إحدى زوجاته ونشرته الأخرى؟

وللرد على هذا الافتراء نقول:

ففيه مغالطة ظاهرة، فحديث الإفك لم يكن للنبي ﷺ ولا لأزواجه دخل في حصوله، بل كان ابتلاء من الله تعالى رفع به درجاتهم، ونوّه فيه بمكانتهم، وصيَّره خيرا لهم، وكبت به أعداءهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْأِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {النور:١١}. وأما الآيات في سورة التحريم وفي سورة الأحزاب ففيها من بيان الأحكام الفقهية والآداب

الشرعية ما هو ضروري للأمة، ولا يخفى أن النبي ﷺ هو محل القدوة كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ {الأحزاب:٢١}.

فبيان أحواله في بيته هو في الحقيقة بيان لمحل القدوة والأسوة.

* * *

الخـــــاتمـــة

إن سيرة أمهات المؤمنين اللواتي نزلت النصوص في بيوتهن، وكن التطبيق العملي لهذه التعاليم، طبقن ذلك تحت سمع وبصر النبي ﷺ فسددهن وعلمهن، وأطلقهن معلمات لنساء ذلك الجيل، ومرشدات لأجيال النساء فيما بعد.

وما ذلك إلا مثل رائع ضربنه من خلال العظمة التي اكتسبنها في بيت النبوة، فأصبحن المثل الرائد، والقدوة المتفردة عبر العصور..

وارتفعت مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي، وكانت أمهات المؤمنين رائدات التغيير في ذلك المجتمع قريب العهد من الجاهلية.

كانت السيدة عائشة -رضي الله عنها- من المناصرين للمرأة، والمنافحين عنها بلا منازع، وإليها وحدها تتطلع أبصار المستضعفات، لما تمّ لها من المكانة الكبيرة في العلم والأدب والدين، حتى تقطعت دون مقامها الأعناق، وكانت أستاذة لمشيخة الصحابة الأجلاء في كثير من أمور العلم والدين.

كما أن زوجات النبي ﷺ؛ زوجاته في الدنيا والآخرة وأمهات المؤمنين ولهن من الحرمة والتعظيم ما يليق بهن كزوجات لخاتم النبيين فهن من آل بيته طاهرات، مطهرات، طيبات، بريئات مبرآت من كل سؤ يقدح في أعراضهن وفرشهن ، فالطيبات للطيبين والطيبون للطيبات فرضي الله عنهن وأرضاهن أجمعين وصلى الله على نبيه الصادق الأمين.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله سبحانه وتعالى أن يقبل منا هذا الجهد المتواضع وينفع به المسلمين ويهديهم، ويجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة.

* * *

مراجــع البحــث

١- القرآن الكريم.

(أ)

٢- أحكام القرآن للقاضي ابن العربي، الجزء الثالث.

٣- الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين رحمة الله عليهن أجمعين، للمؤلف: أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن هبة الله بن عساكر، تحقيق: محمد مطيع الحافظ،ج١.- ط١.- دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦هـ.

٤- أمهات المؤمنين، للمؤلف: أحمد حسين شرف الدين، ط١- الرياض: أحمد شرف الدين، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، ٨مج.- ط١.- بيروت: دار الجيل، ١٤١٢هـ.

(ز)

٦- زوجات الرسول ﷺ ، للمؤلف: سعيد أيوب..- ط١.- بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٧- زوجات الرسول ﷺ ، للمؤلف: عمرو يوسف..- الإسكندرية:المركز العربي للنشر والتوزيع، بدون سنة نشر.

٨- زاد المعاد.

(س)

٩- السمط الثمين، للمؤلف: محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، تحقيق: محمد علي قطب.- القاهرة: دار الحديث للنشر، بدون سنة نشر.

١٠-سيرة ابن هشام.

(ص)

١١-الصحابيات ودورهن في بناء أمة الإسلام في عهد الرسول ﷺ ، الكتاب الأول: أمهات المؤمنين والقرشيات، للمؤلفة: سامية منيسي، القاهرة: دار المريخ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

١٢-صحيح البخاري، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار ابن كثير – دمشق – سوريا.

١٣-صحيح مسلم، ت : محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار الحديث – القاهرة – مصر .

(ط)

١٤- الطبقات الكبرى، للمؤلف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، ج٨.- بيروت: دار صادر.

(ن)

١٥- نساء النبي ﷺ، للمؤلفة: عائشة عبدالرحمن، ط١.- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

مواقع على الإنترنت:

١- www.islamweb.net فتاوى إسلام ويب، رقم الفتوى: ١٢٤٥٦٤

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقـدمة وخطة البحث ٣

المبحث الأول ٤
خديجة-رضي الله عنها- ٥
سودة -رضي الله عنها- ٥
عائشة-رضي الله عنها- ٦
حفصة -رضي الله عنها- ٧
زينب بنت خزيمة -رضي الله عنها- ٧
أم سلمة -رضي الله عنها- ٨
زينب بنت جحش-رضي الله عنها- ٨
جويرية -رضي الله عنها- ٩
أم حبيبة-رضي الله عنها- ٩
صفية -رضي الله عنها- ٩
ميمونة-رضي الله عنها- ١٠
فضلهن ومكانتهن ١٢

المبحث الثاني ١٤
الحكمة التعليمية ١٥
الحكمة التشريعية ١٦
الحكمة الاجتماعية ١٧
الحكمة السياسية ١٨

المبحث الثالث ٢٠
الشبهة الأولى ٢١
الشبهة الثانية ٢٥
الشبهة الثالثة ٢٥
الشبهة الرابعة ٢٦

الخـاتمـــــة ٢٨

مراجع البحث ٢٩

فهرس الموضوعات ٣١

* * *